فضلا عن الاجل لاستمرار عدم التحلي واطلاق الايمان عما يقيدونه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان
في شيء فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدار الحو
الاية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون فلا يحابيها على الكرامية القائلين بان من تفوه
بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه وينافيه ثم من **يخادعون الله والذين امنوا** بيان لـ
لمقولهم وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن
كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الى اخره اى يخدعون وقد قرئ كذلك
وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية
كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به
من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو اليه بسهو
من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه
الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها
الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة واياما كان فنسبته الى الله تعالى اما
على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اى يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة
المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما يحق ان ينسب الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ابانة لمكانته
عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما بمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين امنوا
والايذان بقوة اختصاصهم به كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد لو زجة عن اعتقادهم
الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا
لما ان صورة صنعهم مع الله والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده
اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة المخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم
اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي
للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ابراز حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة
وبيان ان غايتها ايلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وجل **وما يخادعون الا انفسهم**
فالتعرض لحال الجانب الاخر مما يخل بتوسيه المقام حتما وهو حال من ضمير يخدعون اى يفعلون ما يفعلون
والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخادعون حقيقة الا

انفسهم

انفسهم بحيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخدعون و
المعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل وقال ما يعاملون تلك المعاملة المشبهة معاملة
المخادعين الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ
وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اى يختدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم
بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان النفس الحي به وللقلب ايضا
لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا
هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى
وما يشعرون حال من ضمير يخدعون اى يقصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اى
ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اى ما يشعرون بشيء
اصلا بجعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس
مختل المشاعر **في قلوبهم مرض** المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب
الخلل في افعاله ويؤدي الى الموت استعير هنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة
على كونه نوعا منها غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين
من استمرار عدم ايمانهم نوعا منها غيرا او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه
فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة
على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتيب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة
بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول
الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض عبارة مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور
عند مشاهدتهم عزة المسلمين وزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في
قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانزال الملائكة وتأييده بفنون النصر
والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ استيناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم
يخادعون ويداهنون ولم يجاهروا بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم مرض ضعف مضاعف
هن صالهم في الدنيا **ولهم** في الاخرة **عذاب اليم** اى مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع
حقيقة للمولم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك يثبت
كما سيجيء ذلك في قوله تعالى بديع السموات والارض **بما كانوا يكذبون** الباء للسببية او للمقابلة وما

Copyright ... University